المجلس العربي للطفولة والتنمية

خطوة

ملحق العدد ٣٠ - شتاء ٢٠١٧

وطن العصافير

تأليف ورسوم: عبد الرحمن بكر

أحسست الشُّجيرة الخضراء بالضوء. وشعرت بدفء الحياة. فخرجت من الأرض، وفردت ورقتها الصغيرة فرحة.

تطلعت إلى ما حولها، بانبهار ثم نظرت إلى أمها الشجرة الكبيرة وقالت: أنتِ أمي؟

فضحكت الشجرة الكبيرة ضحكة حانية وقالت: ما أروعك يا ابنتي. كم أنا سعيدة بكِ.

تساءلت الشُجيرة وهي تتطلع إلى حجم أمها الضخم قائلة: وهل سأكبر وأكون مثلك يوماً؟

فأشارت الأم بأحد فروعها إلى الشمس وإلى الأرض قائلة: إذا عرضت نفسك لضوء الشمس جيداً وامتصصتِ غذاءك من الأرض بانتظام، وقاومت الرياح، فقد تكونين أكبر مني وأضخم بكثير، وحينها سأفتخر بكِ.

خرجت العصافير من أعشاشها وطافت حول الشُّجيرة الصغيرة، ثم غردت فرحاً بها.

فقالت الشُّجيرة وقد امتلأ قلبها الصغير بالفرح: سبحان الله. ما هذه الكائنات الجميلة يا أمي؟ ما أروع أصواتها. هل هم إخوتي؟

فأجابتها أمها: لا. إنهم عصافيري الصغار. يسكنون في أعشاش خفيفة فوق أحد فروعي، وهم أرق الطيور. ووظيفتي هي أن أحميهم وأظلل عليهم حتى لا يؤذيهم أحد. وستكون إحدى وظائفك أنت أيضاً عندما تكبرين.

شعرت الشُّجيرة الصغيرة بأهميتها وعرفت قيمتها. فأخذت تمتص غذاءها من الأرض بقوة وتُعرض أوراقها للشمس كل يوم. فتزداد نموّاً. رأت الخريف برياحه القوية يحركها كيفما يشاء، والعصافير تختبئ بين فروع أمها وهي مرعوبة تحاول أن تحمي أوراقها التي بدأت تذبل، بينما الرياح القوية تنتزع ما تشاء من الأوراق وتأخذه معها.

كانت أمها العجوز تقاوم بكل قوتها، وتعاند الرياح مهما فقدت من الأوراق؛ فتمنت ساعتها أن تنمو وتنمو وتنمو ويصبح لديها أوراق كثيرة وفروع ضخمة؛ فأخذت تضرب بجذورها في الأرض وتعمقها وتمتص غذاءها من باطنها؛ فتزداد قوة وصلابة، وأحبت ضوء الشمس وصاحبتها.

ومر الزمان وصارت شجرة فتية، وتعلمت الصمود وسط الرياح

ومواجهتها. لم تعد تتحرك معها، بل فقط تحرك فروعها لتروض الرياح وتُغير اتجاهها كما علمتها أمها الشجرة العجوز.

فرحت الأم وهي تراها تكبر وتكبر وترتفع في السماء وتحمل عنها عصافيرها، وتحميهم بدلاً منها.

شعرت العصافير بالاطمئنان بين أغصانها القوية وأوراقها كثيرة الظلال فأحبوها، وتجمعوا وسكنوها، وتكاثروا.

فأحست الشجرة الطموحة بالمسئولية وتذكرت كلام أمها. فأخذت تحميهم وتظلل عليهم.

وفي أحد الأيام التفتت إلى أمها العجوز سائلة: هل حقّاً كبرت أمي؟

فتبسمت الأم ودموع الفرحة في عينيها قائلة:

إنك لم تكبري فقط يا ابنتي. لقد أصبحت وطناً للعصافير. إن من يخاف على غيره ويحميه، يصبح وطناً له.